

نبي الله آدم عليه السلام

في بيان صفة خلقه

وعلة سجود الملائكة له


نهج البلاغة
بحر العلم ومدار الحق


إصدار
مؤسسة علوم نهج البلاغة
في العتبة الحسينية المقدسة

سلسلة الأنبياء في نهج البلاغة (١)

نبي الله آدم عليه السلام

في بيان صفة خلقه

وعلة سجود الملائكة له

الجزء الأول

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

مؤسسة علوم نهج البلاغة

www.Inahj.org
E-mail: Inahj.org@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤسسة

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم والثناء بما قدّم والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد وآله الطيبين الأخيار.

وبعد:

فهذه سلسلة خاصة بما ورد في كتاب نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حول بعض الأنبياء عليهم السلام، وقد تناول فيها الإمام جوانب مختلفة من حياتهم

وما ارتبط بهم ابتداءً من آدم عليه السلام، حيث بيّن الإمام علي عليه السلام العلة في خلقه وما رافق هذا الأمر من ابتلاء للملائكة وغير ذلك مما ارتبط بهذه الشخصية.

والحديث في نهج البلاغة عن الأنبياء عليهم السلام لم يكن شاملاً لجميع الأنبياء وإنما اكتفي الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بذكر بعضٍ منهم، وهم (آدم وموسى وعيسى وداود ويحيى وسليمان والحبيب المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم) وقد أخذ الحيز الأكبر من البيان والتعريف في كلام أمير المؤمنين عليه السلام.

ولذا:

وجدت مؤسسة علوم نهج البلاغة أن تضع بين يدي القارئ الكريم هذا البيان الوارد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في

الشخصيات الربانية ضمن هذه السلسلة مع بيان موجز لما أورده الشرّاح لكتاب نهج البلاغة فضلاً عن رفد هذه الألفاظ الشريفة بما يناسبها من روايات نبوية شريفة عن آل البيت عليهم السلام، بغية الوصول إلى معنى واضح يأخذ بأيادينا ويد القارئ الكريم إلى ما يحب الله ويرضى.

السيد نبيل الحسني

رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

قال أمير المؤمنين عليه السلام في آدم عليه السلام:

«الْحَمْدُ لِلَّه الَّذِي لَبِسَ الْعِزَّ والْكِبْرِيَاءَ، واخْتَارَهُمَا لِنَفْسِه دُونَ خَلْقِه وجَعَلَهُمَا حِمًى وحَرَماً عَلَى غَيْرِه واصْطَفَاهُمَا لِجَلَالِه وجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَه فِيهِمَا مِنْ عِبَادِه ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذَلِكَ مَلَائِكَتَه الْمُقَرَّبِينَ، لِيَمِيزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ، فَقَالَ سُبْحَانَه وهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ، ومَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ:

﴿...إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فَإِذا سَوَّيْتُه ونَفَخْتُ فِيه مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَه ساجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ...﴾[1].

(١) سورة ص، الآيات: ٧١ – ٧٤.

اعْتَرَضَتْه الْحَمِيَّةُ فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِه، وتَعَصَّبَ عَلَيْه لأَصْلِه، فَعَدُوُّ اللَّه إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ وسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ ونَازَعَ اللَّه رِدَاءَ الْجَبْرِيَّةِ، وادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ وخَلَعَ قِنَاعَ التَّذَلُّلِ، أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَه اللَّه بِتَكَبُّرِه، ووَضَعَه بِتَرَفُّعِه فَجَعَلَه فِي الدُّنْيَا مَدْحُوراً، وأَعَدَّ لَه فِي الآخِرَةِ سَعِيراً ولَوْ أَرَادَ اللَّه أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ، يَخْطَفُ الأَبْصَارَ ضِيَاؤُه ويَبْهَرُ الْعُقُولَ رُوَاؤُه، وطِيبٍ يَأْخُذُ الأَنْفَاسَ عَرْفُه لَفَعَلَ، ولَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَه الأَعْنَاقُ خَاضِعَةً، ولَخَفَّتِ الْبَلْوَى فِيه عَلَى الْمَلَائِكَة ولَكِنَّ اللَّه سُبْحَانَه يَبْتَلِي خَلْقَه بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَه، تَمْيِيزاً بِالِاخْتِبَارِ لَهُمْ ونَفْياً لِلِاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ، وإِبْعَاداً لِلْخُيَلَاءِ مِنْهُمْ» [1].

ومن كلام لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام أنه قال:

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة القاصعة، رقم الخطبة ١٩١، شرح محمد عبده ص٣١٣.

«ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَه مِنْ حَزْنِ الأَرْضِ وسَهْلِهَا، وعَذْبِهَا وسَبَخِهَا، تُرْبَةً سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ، ولَاطَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ، فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ ووُصُولٍ وأَعْضَاءٍ، وفُصُولٍ أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ، وأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ وأَمَدٍ مَعْلُومٍ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِه، فَمَثُلَتْ إِنْسَاناً ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا، وفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا وجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا، وأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا ومَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ والْبَاطِلِ، والأَذْوَاقِ والْمَشَامِّ والأَلْوَانِ والأَجْنَاسِ، مَعْجُوناً بِطِينَةِ الأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ، والأَشْبَاه الْمُؤْتَلِفَةِ والأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ، والأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ مِنَ الْحَرِّ والْبَرْدِ، والْبَلَّةِ والْجُمُودِ، واسْتَأْدَى اللَّه سُبْحَانَه الْمَلَائِكَةَ وَدِيعَتَه لَدَيْهِمْ، وعَهْدَ وَصِيَّتِه إِلَيْهِمْ فِي الإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَه، والْخُنُوعِ لِتَكْرِمَتِه، فَقَالَ سُبْحَانَه:

﴿ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾[1].

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٤.

اعْتَرَتْهُ الْحَمِيَّةُ، وغَلَبَتْ عَلَيْهِ الشِّقْوَةُ، وتَعَزَّزَ بِخِلْقَةِ النَّارِ واسْتَوْهَنَ خَلْقَ الصَّلْصَالِ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ النَّظِرَةَ اسْتِحْقَاقاً لِلسُّخْطَةِ، واسْتِتْمَاماً لِلْبَلِيَّةِ وإِنْجَازاً لِلْعِدَةِ، فَقَالَ:

﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾[1].

ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدَمَ دَاراً أَرْغَدَ فِيهَا، عَيْشَهُ وآمَنَ فِيهَا مَحَلَّتَهُ وحَذَّرَهُ إِبْلِيسَ وعَدَاوَتَهُ، فَاغْتَرَّهُ عَدُوُّهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ الْمُقَامِ، ومُرَافَقَةِ الأَبْرَارِ، فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ والْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ، واسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلًا وبِالِاغْتِرَارِ نَدَماً، ثُمَّ بَسَطَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ، ولَقَّاهُ كَلِمَةَ رَحْمَتِهِ ووَعَدَهُ الْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ، وأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ وتَنَاسُلِ الذُّرِّيَّةِ واصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ، أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا

---

(١) سورة الحجر، الآيتان: ٣٧ ـ ٣٨.

حَقَّه واتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَه، واجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِه، واقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِه فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَه، ووَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَه لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِه، ويُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِه، ويَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، ويُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، ويُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ، مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ ومِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، ومَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ وآجَالٍ تُفْنِيهِمْ وأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ، ولَمْ يُخْلِ اللَّه سُبْحَانَه خَلْقَه مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ، رُسُلٌ لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، ولَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ، مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَه مَنْ بَعْدَه أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَه مَنْ قَبْلَه عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ ومَضَتِ الدُّهُورُ، وسَلَفَتِ الآبَاءُ وخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّه سُبْحَانَه مُحَمَّداً، رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم. إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّه سُبْحَانَه مُحَمَّداً، رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم لإِنْجَازِ عِدَتِه»[(١)].

(١) نهج البلاغة الخطبة الأولى، ص٢٥، محمد عبده.

وقال عليه السلام أيضاً:

«فَلَمَّا مَهَدَ أَرْضَهُ وَأَنْفَذَ أَمْرَهُ اِخْتَارَ آدَمَ عليه السلام خِيرَةً مِنْ خَلْقِهِ وَجعَلَهُ أَوَّلَ جِبِلَّتِهِ وأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ وَأَرْغَدَ فِيهَا أُكُلَهُ وَأَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ وَأَعْلَمَهُ أَنَّ فِي اَلْإِقْدَامِ عَلَيْهِ اَلتَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ وَاَلْمُخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ فَأَقْدَمَ عَلَى مَا نَهَاهُ عَنْهُ مُوَافَاةً لِسَابِقِ عِلْمِهِ فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ اَلتَّوْبَةِ لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ وَلِيُقِيمَ اَلْحُجَّةَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ»[1].

وهذا القول الصادر عن أمير المؤمنين ومولى الموحدين علي بن أبي طالب عليه أفضل الصلاة والسلام اشتمل على مجموعة بحوث ومسائل وهي كالآتي:

(١) خطبة الاشباح، ص١٥٥، محمد عبده.

المبحث الأول

العلة في امتحان الملائكة

قبل خلق آدم عليه السلام

بيّن عليه السلام في خطبته المعروفة بالقاصعة العلة في خلق الله آدم ببيان جديد غير الذي ورد في تفاسير القرآن الكريم حول قوله عزّ وجل:

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[1].

فهو هنا يفصل بين الغاية من خلق آدم وهي جعل الخليفة في الأرض وبين العلة في خلقه وهي اختيار الملائكة المقربين كما سيمرّ بيانه.

أولاً - قال عليه السلام: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَبِسَ الْعِزَّ وَالْكِبْرِيَاءَ، وَاخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ

عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قال قال تعالى: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري

(١) البقرة، آية: ٣.

فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في ناري»[1].

والمعنى أن الكبرياء والعظمة مخصوصان بي كلصوق الرداء والإزار على أجسادكم ومن تكبر فقد أشرك بي بل غصب حقي، وعمدة التكبر، التكبر على أهل الحق[2].

قال تعالى:

﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[3].

أي جعل العز والكبرياء له ومحضورا على غيره، فلا يجوز لأحدٍ أن يتكبر ويتعزز لأن المخلوقات لا حول ولا قوة لها، وإنما العز والكبرياء للقادر القاهر الذي بيده ملكوت

(١) مستدرك الوسائل - ميرزا حسين الطبرسي، ج١٢، ص٣١.
(٢) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، المجلس الأول لمحمد تقي المجلسي: ج٤، ص٤٨.
(٣) الجاثية، آية: ٣٧.

السموات والأرض وله الأسماء الحسنى فكيف للمخلوق الضعيف أن يساوي نفسه مع الله.

فالتكبر حرام وهو من الكبائر ولا يجوز للإنسان ذلك، قال الإمام علي عليه السلام:

«فاطفئوا ما كمن في قلوبكم من نيران العصبية، وأحقاد الجاهلية، فإنما تلك الحمية تكون في المسلم من خطرات الشيطان، ونخاوته، ونزعاته، ونفثاته، واعتمدوا وضع التذلل على رؤوسكم وإلقاء التعزز تحت أقدامكم وخلع التكبر من أعناقكم واتخذوا التواضع مسلحة بينكم وبين عدوكم إبليس وجنوده»[1].

ثانياً - قال عليه السلام: واصْطَفَاهُمَا لِجَلَالِهِ وجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ

أي اختارهما - العزة والكبرياء - له وجعل العقاب على من نازعه عليهما من جميع

(١) شرح نهج البلاغة لمحمد عبده: خطبة القاصعة، ص٣١٥.

المخلوقات، فهاتان صفتان لا تكونان لمخلوق وإنما لخالق عظيم يستحق أن تكون له العزة والكبرياء لعظمته وقدرته على خلق الأشياء والقدرة على كل شيء، يبقى الخلق عباداً متواضعين له، ومتذللين لكبريائه، كونه خالقهم فمن الواجب طاعة العبد لربه، فكل المخلوقات هم عباد الله.

وقال عليه السلام:

«فَلَوْ رَخَّصَ اَللَّهُ فِي اَلْكِبْرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ اَلتَّكَابُرَ وَرَضِيَ لَهُمُ اَلتَّوَاضُعَ»[1].

ثالثاً - قال عليه السلام: ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذَلِكَ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ، لِيَمِيزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ

قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ

(١) شرح نهج البلاغة لمحمد عبده، ص٣١٧.

صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾[1].

فقال عليه السلام:

«فَقَالَ سُبْحَانَه وهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ، ومَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ:

﴿ ...إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فَإِذا سَوَّيْتُه ونَفَخْتُ فِيه مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَه ساجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾[2]».

قال تعالى:

﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾[3].

وقوله تعالى:

﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[4].

---

(١) سورة العنكبوت، آية: ٣.
(٢) سورة ص، الآيات: ٧١ ـ ٧٤.
(٣) سورة غافر، آية: ١٩.
(٤) سورة البقرة، آية: ٣٣.

رابعاً - قال عليه السلام: السر في أمره تعالى الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام

واستعبد الله عز وجل الملائكة بالسجود لآدم تعظيما له لما غيبه عن أبصارهم وذلك انه عز وجل إنما أمرهم بالسجود لآدم لما أودع صلبه من أرواح حجج الله تعالى ذكره، فكان ذلك السجود لله عز وجل عبودية ولآدم طاعة، ولما في صلبه تعظيما فأبى إبليس أن يسجد لآدم حسدا له إذ جعل في صلبه مستودع أرواح حجج الله دون صلبه فكفر بحسده وتأبّيه، وفسق عن أمر ربه، وطرد عن جواره ولعن وسمي رجيماً لأجل إنكاره للغيبة لأنه احتج في امتناعه عن السجود لآدم بأن قال:

﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[1].

(١) سورة ص، ٧٦.

فجحد ما غيب عن بصره ولم يوقع التصديق به، واحتج بالظاهر الذي شاهده وهو جسد آدم عليه السلام وأنكر أن يكون يعلم لما في صلبه وجوداً، ولم يؤمن بأن آدم إنما جعل قبلة للملائكة وأمروا بالسجود له لتعظيم ما في صلبه، فمَثُل من آمن بالقائم عليه السلام في غيبته مثل الملائكة الذين أطاعوا الله في السجود لآدم ومثل من أنكر القائم عليه السلام في غيبته مثل إبليس في امتناعه عن السجود لآدم.

وروي عن الصادق عليه السلام، أنه قال: «إن الله تبارك وتعالى علّم آدم أسماء حجج الله كلها ثم عرضهم - وهم أرواح - على الملائكة فقال انبئوني - بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين بأنكم أحق بالخلافة في الأرض بتسبيحكم وتقديسكم من آدم عليه السلام قالوا:

﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ

﴿الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[1].

قال الله تبارك وتعالى:

﴿يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ﴾[2].

وقفوا على عظيم منزلتهم عند الله تعالى ذكره فعلموا أنهم أحق بأن يكونوا خلفاء الله في أرضه وحججه على بريته ثم غيبهم عن أبصارهم واستعبدهم بولايتهم ومحبتهم وقال لهم:

﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾»[3].

خامساً - قال عليه السلام: اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ، وتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لأَصْلِهِ، فَعَدُوُّ اللَّهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ

الحمية العصبية: أي تعصب، قال:

---

(١) البقرة، ٣٢.

(٢) البقرة، ٣٣.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق: ص٢٥.

﴿ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾[1].

أي كما أن هنالك أئمة الهدى كذلك هنالك أئمة الكفر وإبليس هو إمام العصاة البغات الذين يتكبرون على الله وعلى عباده قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[2].

إن إبليس عدو الله وإمام كل متكبر، فمن تبعه حشر معه في الآخرة.

قال عليه السلام:

«فاحذروا - عباد الله - عدو الله - أن يعديكم بدائه وأن يستفزّكم بندائه وأن يجلب عليكم بخيله ورجله، فلعمري لقد فوّق لكم سهم الوعيد، وأغرق لكم بالنزع الشديد، ورماكم من مكان قريب، وقال:

---

(١) الاعراف، ١٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥٧.

﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[1]

قذفا بغيب بعيد»[2].

سادساً – قال عليه السلام: وسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرينَ، الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ، ونَازَعَ اللَّه رِدَاءَ الْجَبْرِيَّةِ، وادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ وخَلَعَ قِنَاعَ التَّذَلُّلِ

إن إبليس أول مخلوق تكبّر على الله وهو المنشأ لرذيلة العصبية والافتخار بالأصل التي نعاني منها اليوم، والسلف: المتقدم اليوم[3].

فالكبرياء رداء الله لذا لا يحق لأحد من خلقه أن يتكبر، فمن يفعل ذلك فقد نازع الله، وان إبليس لبس لباس التعزز وأظهر الوجه الحقيقي له

---

(١) سورة الحجر، آية: ٣٩.
(٢) شرح نهج البلاغة لمحمد عبده، الخطبة القاصعة، ص٣١٤.
(٣) ينظر شرح نهج البلاغة لعلي محمد علي دخيل: ص٣٤٣.

بعد ما كان من العابدين الذين يتذللون لله في العبادة فظهرت حقيقته فعلمت الملائكة أن إبليس ليس منهم ذلك إن الملائكة مطيعة لله.

وجاء في شرح نهج الصباغة للعلامة التستري ما روي (عن الإمام الصادق) عليه السلام:

«إذا خلق الله العبد في أصل الخلقة كافراً لم يمت حتّى يحبّب إليه الشرّ فيقرب منه، فابتلاه بالكبر والجبريّة، فقسا قلبه وساء خلقه، وغلظ وجهه وظهر فحشه، وقلّ حياؤه، وكشف الله ستره، وركب المحارم، فلم ينزع عنها، ثمّ ركب معاصي الله وأبغض طاعته،ووثب على الناس لا يشبع من الخصومات، فاسألوا الله العافية واطلبوها منه».

وعنه عليه السلام أنه قال:

«أدنى الإلحاد الكبر»)[1].

---

(١) نهج الصباغة في شرح نهج البلاغة للعلامة التستري: ج٢، ص٩، ط مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

سابعاً – قال عليه السلام: أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَه اللَّه بِتَكَبُّره، ووَضَعَه بِتَرَفُّعِه فَجَعَلَه فِي الدُّنْيَا مَدْحُوراً، وأَعَدَّ لَه فِي الآخِرَةِ سَعِيراً

كان إبليس مع الملائكة وكانت الملائكة تظن أنه منهم فكانت منزلته مثل منزلتهم، فبعد ما تكبر على الله أصبح رجيما مدحورا من رحمة الله؛ قال تعالى:

﴿ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا ﴾[1].

فهو في الدنيا ملعون وفي الآخرة من الضالين.

جاء في شرح بهج الصباغة للعلامة التستري ما روي في الكافي عن الصادق عليه السلام أنه قال:

«ما من عبد إلا وفي رأسه حكمة وملك يمسكها، فإذا تكبر قال له: إتّضع وضعك اللّه، فلا يزال أعظم الناس في نفسه وأصغر الناس في أعين الناس»[2].

---

(١) الاعراف، ١٨.

(٢) بهج الصباغة للتستري: ج٢، ص٩.

وعنه عليه السلام قال:

«إن في جهنم لوادياً للمتكبرين يقال له سقر فشكى إلى الله شدة حرّه، وسأله أن يأذن له أن يتنفس فتنفس فأحرق جهنم»[1].

ثامناً – عليه السلام: وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ، يَخْطَفُ الأَبْصَارَ ضِيَاؤُه ويَبْهَرُ الْعُقُولَ رُوَاؤُه، وطِيبٍ يَأْخُذُ الأَنْفَاسَ عَرْفُه لَفَعَلَ، ولَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَه الأَعْنَاقُ خَاضِعَةً

فلو خلق الله آدم من نور ساطع وجسد يملأ المكان رائحة طيبة لكانت الحجة واضحة عليهم حيث تظهر عظمة آدم عليه السلام، ولكن الله جعل هذه العظمة سراً من أسراره لكي يميز الخبيث من الطيب ويختبر عباده بما يجهلون، أي أن الله اختبر ملائكته بخلق آدم عليه السلام من هذه المادة وهي التراب ليميز منهم من هو مطيع ومن هو عاصٍ.

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص١٠.

فلو خلقه من نور لخف الابتلاء على الملائكة لأن النور أقدس الموجودات، قال تعالى:

﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾[1].

أي إن الله عز وجل لو أراهم نورانية آدم عليه السلام لخضعوا له، قال تعالى:

﴿ إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾[2].

تاسعاً – قال عليه السلام: ولَخَفَّتِ الْبَلْوَى فِيهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ولَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ، تَمْيِيزاً بِالِاخْتِبَارِ لَهُمْ ونَفْياً لِلِاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ، وإِبْعَاداً لِلْخُيَلَاءِ مِنْهُمْ

كما قلنا أن الله لو وضح لهم قدسية آدم عليه السلام وما حباه الله به من كرامات، كونه حجة الله وفيه أسراره حيث وضع في صلبه أقدس

(١) النور، آية: ٣٥.
(٢) الشعراء، ٤.

الموجودات وهم محمد وآله الطيبين، فلو علمت الملائكة ذلك لما صعب عليهم الأمر وما سألوا الله بقولهم:

﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ (١).

والدليل أن الملائكة عندما عرفوا أنّ آدم عليه السلام حجة الله سجدوا له، ولكن الله عز وجل أراد أن يظهر سرائر خلقه فيميز المطيعين منهم والعاصين له فظهر تكبر إبليس فأبعده عن الملائكة وطرده من رحمة الله، قال تعالى:

﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ (٢).

إذن فالله حبب لعباده التواضع وكره لهم التكبر، لأن التكبر أساس كل خطيئة.

---

(١) القرة، ٣٠.

(٢) الانفال، ٣٧.

المبحث الثاني

بيان صفة خلق آدم عليه السلام

وجاء عنه عليه السلام في بيان صفة خلق آدم عليه السلام أنه قال:

«ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَه مِنْ حَزْنِ الأَرْضِ وسَهْلِهَا، وعَذْبِهَا وسَبَخِهَا، تُرْبَةً سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ، ولَاطَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ، فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ ووُصُولٍ وأَعْضَاءٍ، وفُصُولٍ أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ، وأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ وأَمَدٍ مَعْلُومٍ»[1].

المسألة الأولى: الطينة التي خُلِق منها آدم عليه السلام

أولاً - قال عليه السلام: «ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَه مِنْ حَزْنِ الأَرْضِ وسَهْلِهَا، وعَذْبِهَا وسَبَخِهَا، تُرْبَةً سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ»

(١) شرح نهج البلاغة لمحمد عبده، الخطبة الأولى، ص٢٥.

إسناد الجمع إليه تعالى من التوسع في الإسناد من باب بنى الأمير المدينة إذا الجمع حقيقة فعل ملك الموت بأمر الله بعد أن اقتضت الحكمة خلقة آدم عليه السلام وجعله خليفة في الأرض.

فقد ورد في اللغة أن: (الحزن - بفتح الحاء - ما صعب من الأرض: ضد السهل؛ والسبخ: ما ملح ضد العذب؛ وسَنَّ الماء: أي صبه؛ والمراد صب عليها أو سّنها بمعنى ملسها كما قال: مرمر مسنون؛ وحتى خلصت: أي صارت طينة خالصة)[1].

وقوله: ((حتى خلصت) أي صارت طينة خالصة؛ وفي بعض النسخ: حتى خضلت بتقديم الضاد المعجمة على اللام أي ابتلت ولعلها أظهر)[2].

(١) في ظلال نهج البلاغة لمحمد جواد مغنية: ج١، ص٣٠، ط انتشارات كلمة الحق، قم المقدسة، ١٤٢٧هـ.
(٢) شرح نهج البلاغة لمحمد عبده: ص٢٦، الخطبة الأولى، ط دار الذخائر، قم المقدسة، ١٤١٢هـ.

وجـاء في تبيـان الفـصاحة للـسيد عبـاس الموسـوي: («سـنها بالمـاء»: أي خلطهـا ومزجهـا (حتى خلصت) أي صارت طينة خالصة)[1].

قـال الـسيد ابـن طـاووس في (كتـاب سـعد السعود) على ما حكى عنه في (البحار): (وجدت في صحف إدريس نسخة عتيقة أن الأرض عرّفها الله جل جلالـه أنـه يخلـق منـها خلقـاً فمنـهم مـن يطيعـه ومنـهم مـن يعـصيه، فاقـشعرت الأرض واستعفت إليه وسألته أن لا يأخذ منها من يعـصيه ويدخله النار، وأن جبرائيل أتاها ليأخذ عنها طينـة آدم عليه السلام فسألته بعزة الله أن لا يأخذ منـها شيئا حتى يتـضرع إلى الله تعـالى وتـضرعت فـأمره الله تعالى بالانصراف عنها.

فـأمر الله ميكائيـل فاقـشعرت وتـضرعت

(١) تبيان الفصاحة للسيد عباس الموسوي: ص١٥.

وسألت فأمره الله بالانصراف عنها.

فأمر الله تعالى إسرافيل بذلك فاقشعرت وسألت وتضرعت فأمره الله بالانصراف عنها.

فأمر عزرائيل فاقشعرت وتضرعت فقال: قد أمرني ربي بأمر أنا ماض سرَّكِ ذاك أم ساءك فقبض منها كما أمره الله ثم صعد بها إلى موقفه فقال الله له: كما وليت قبضها من الأرض وهو كاره كذلك تلي قبض أرواح كل من عليها، وكلما قضيت عليه الموت من اليوم إلى يوم القيامة.

ومضمون هذه الرواية مطابق لأخبار أهل البيت عليهم السلام فإن الموجود فيها أيضا أن القابض هو عزرائيل وانه قبض «من حزن الارض وسهلها وعذبها وسبخها» أي من غليظها ولينها وطيبها ومالحها، وهذه إشارة إلى القبضة المأخوذة

من غير محل واحد من وجه الأرض ويوافقه سائر الأخبار، ولعل هذا هو السر في تفاوت أنواع الخلق لاستناده إلى اختلاف المواد وفي بعض الأخبار إنها أخذت من أديم الأرض أي من وجهها ومنه سمي آدم والمراد أنه سبحانه أجمع من أجزاء الأرض المختلفة)[1].

ثانياً - سبب تسمية نبي الله آدم عليه السلام بآدم

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

«سمّي آدم عليه السلام آدم لأنه خلق من أديم الأرض وذلك أن اللّه تعالى بعث جبرائيل عليه السلام وأمره أن يأتيه من أديم الأرض بأربعة طينات طينة بيضاء، وطينة حمراء، وطينة غبراء، وطينة سوداء؛ وذلك من سهلها، وحزنها؛ ثم أمره أن يأتيه بأربع مياه ماء عذب، وماء ملح، وماء مر، وماء منتن؛ ثم أمره أن يفرغ الماء في الطين وأدمه اللّه بيده فلم يفضل شيء من

(١) منهاج البراعة لحبيب الله الخوئي: ج٢، ص٢٥٦.

الطين يحتاج إلى الماء ولا من الماء شيء يحتاج إلى الطين، فجعل الماء العذب في حلقه، وجعل الماء المالح في عينه، وجعل الماء المر في أذنه، وجعل الماء المنتن في أنفه»[1].

هنا إشارة إلى أن الإنسان كأمه الأرض يجمع في استعداده وغرائزه بين المتناقضات والمفارقات كالطيب والخبيث، والأسود والأبيض، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«خلق ادم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على مثل الأرض منهم الأسود والأبيض والأحمر وما بين ذلك»[2].

ثالثاً - وَلاَطَهَا بِالْبَلَّةِ حَتّى لَزَبَتْ

ولاطها: أي خلطها وعجنها؛ أو هو من لاط الحوض بالطين ملطه وطينه به. والبلة: بالفتح من

(١) علل الشرائع للشيخ الصدوق: ج١، ص١٠.
(٢) في ظلال نهج البلاغة للشيخ محمد جواد مغنية: ج١، ص٣٢.

البلل. ولَزُبَ الطين: كَكَرُمَ، أي تداخل بعضه في بعض وصلب أو لزق، ومن باب نصر بمعنى التصق وثبت واشتد)[1].

قوله تعالى: ﴿من طين لازب﴾[2].

وجاء في تبيان الفصاحة للسيد عباس الموسوي: (البلة): أي الرطوبة، و(حتى لزبت): أي اشتدت).

ومزجها مزجا جيدا حتى اشتدت واستمسكت وإنما خلقها من هذه العناصر المختلفة ليكون فيها استعداد للخير والشر والحسن والقبيح[3] حيث يشير هذا المعنى إلى قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[4].

---

(١) نهج البلاغة شرح محمد عبدة: ص٢٦.
(٢) الصافات ١١.
(٣) تبيان الفصاحة للسيد عباس الموسوي: ص١٥.
(٤) الحجر ٢٨.

رابعاً - اختلاف طينة المؤمن عن طينة الكافر

روي عن عبد الغفار الجازي عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«إن الله عز وجل خلق المؤمن من طينة الجنة وخلق الكافر من طينة النار»[(١)].

وقال:

«إذا أراد الله عز وجل بعبد خيرا طيب روحه وجسده فلا يسمع شيئا من الخير إلا عرفه ولا يسمع شيئا من المنكر إلا أنكره»[(٢)].

قال وسمعته يقول:

«الطينات ثلاث: طينة الأنبياء، والمؤمن من تلك الطينة إلا أن الأنبياء هم من صفوتها، هم الأصل ولهم فضلهم والمؤمنون الفرع من طين لازب، كذلك لا يفرق الله عز وجل بينهم وبين شيعتهم»[(٣)].

---

(١) الكافي للكليني: ج٢، ص٣، ح٢.
(٢) بصائر الدرجات للصفار: ص٣٦.
(٣) شرح أصول الكافي للمازندراني: ج٨، ص٦، ح٢.

وقال:

«طينة الناصب من حمأٍ مسنون وأما المستضعفون فمن تراب لا يتحول مؤمن عن إيمانه ولا ناصب عن نصبه ولله المشيئة فيهم»[1].

وعن إبراهيم عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال:

«إن الله عز وجل لما أراد أن يخلق آدم عليه السلام بعث جبرائيل عليه السلام في أول ساعة من يوم الجمعة، فقبض بيمينه قبضة، بلغت قبضته من السماء السابعة إلى السماء الدنيا، وأخذ من كل سماء تربة، وقبض قبضة أخرى من الأرض السابعة العليا إلى الأرض السابعة القصوى فأمر الله عز وجل كلمته فأمسك القبضة الأولى بيمينه والقبضة الأخرى بشماله ففلق الطين فلقتين، فذرا من الأرض ذرواً ومن السموات ذرواً فقال للذي بيمينه: منك الرسل والأنبياء

(١) مرآة العقول: ج٥، ص٣٠٨.

والأوصياء والصديقون والمؤمنون والسعداء ومن أريد كرامته، فوجب لهم ما قال كما قال، وقال للذي بشماله منك الجبارون المشركون والكافرون والطواغيت ومن أريد هوانه وشقوته فوجب لهم ما قال كما قال، ثم أن الطينتين خلطتا جميعاً وذلك قول الله عز وجل:

﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ﴾ [1].

فالحب طينة المؤمنين التي ألقى الله عليها محبته والنوى طينة الكافرين الذين نأوا عن كل خير وإنما سمي النوى من أجل انه نأى عن كل خير وتباعد عنه، وقال الله عز وجل:

﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ﴾ [2].

فالحي المؤمن الذي تخرج طينته من طينة الكافر والميت الذي يخرج من الحي هو الكافر الذي يخرج من طينة المؤمن فالحي المؤمن، والميت الكافر وذلك قوله

---

(١) سورة الانعام، الآية: ٩٥.

(٢) نفس المصدر.

عز وجل:

﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾[1].

فكان موته اختلاط طينته مع طينة الكافر وكانت حياته حين فرق الله عز وجل بينهما بكلمته، كذلك يخرج الله عز وجل المؤمن في الميلاد من الظلمة بعد دخوله فيها إلى النور، ويخرج الكافر من النور إلى الظلمة بعد دخوله إلى النور وذلك قوله عز وجل:

﴿ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾»[2].[3]

خامساً - السبب في خلق الله الإنسان من تراب

جاء في كتاب (في ظلال نهج البلاغة للشيخ محمد جواد مغنية): قال البعض أراد الله سبحانه أن يعلّم الناس الروّية والأناة وعدم الاستعجال في

---

(١) سورة الانعام، الآية، ١٢٢.

(٢) مراة العقول، ج٥، ص٣١٨- ٣١٩.

(٣) يس ٧١.

أمورهم، أما نحن فنظن أنه تعالى أراد أن يعلم الناس أنهم في الخلق سواء لا فرق بين أبيض وأسود وكما قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

«كلكم من آدم وآدم من تراب»[1].

وان يعتبروا بقدرة الله التي خلقت من المادة الصماء إنساناً عاقلاً يفعل الأعاجيب ويومئ[2] ويشير إلى ذلك قوله تعالى:

﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾[3].

وأيضاً أن يستدل الإنسان على النشأة الثانية بالأولى كما تشير الآية:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾[4].

(١) مكاتيب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للاحمدي الميانجي: ج٣، ص٥١.
(٢) ورد في نسخة الكتاب (يومئ).
(٣) سورة الكهف، الآية: ٣٧.
(٤) سورة الحج، الآية: ٥.

وقال الإمام عليه السلام:

«عجبت لمن أنكر النشأة الاخرى وهو يرى النشأة الاولى»[1].

وعلى أية حال فإن الأرض هي البيئة الطبيعية للإنسان ومصدر حياته وفيها يتعرف على خالقه ويعبده[2].

المسألة الثانية: الصورة التي خُلِق عليها آدم عليه السلام

أولاً - قال عليه السلام: فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ ووُصُولٍ وأَعْضَاءٍ، وفُصُولٍ أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ، وأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ، لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ وأَمَدٍ مَعْلُومٍ

ضمير منها يعود إلى التربة، والمراد من الصورة صورة آدم عليه السلام قوله تعالى:

(١) ميزان الحكمة للشيخ محمد الريشهري: ج٣، ص١٨٢٢.
(٢) في ظلال نهج البلاغة لمحمد جواد مغنية: ص٣٣.

﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾[1].

وفي جسم الإنسان أجزاء كالرأس واليدين والصدر والرجلين وإليها أشار بكلمة أعضاء وفيه أضلاع، وإليها أشار بالأحناء، وفيه مفاصل، وهي ملتقى العظام ولولاها لعجز الإنسان عن الحركة، وقد عبّر الإمام عنها بالفصول، وفيه عصب يشد الأعضاء بعضها إلى بعض وهو المقصود من كلمة (وصول) من الوصل[2].

وقال السيد محمد الشيرازي رحمه الله (فصول لعل المراد منها الأحوال المختلفة كفصل الشباب وفصل الهرم، والمراد ما هو أعظم من العضو فالرأس فصل، بينما العين في الرأس عضو وهكذا[3].

جاء في شرح نهج الصباغة للعلامة

(١) غافر، ٦٤.
(٢) في ظلال نهج البلاغة لمحمد جواد مغنية: ص٣٣.
(٣) شرح نهج البلاغة للسيد محمد الشيرازي، ص٢١.

التستري: «فجبل منها صورة» قال ابن أبي الحديد: قال الراوندي: أي خلق خلقا عظيما، واعترض عليه بأن (جَبَلَ) بمعنى خلق سواء كان عظيما أم غير عظيم، وعلق على الرأيين العلامة التستري أن جبل، وذرأ، وأنشأ كلها بمعنى: خلق إلا أن لكل منها خصوصية لا يصح استعمال أحدها في موضع الآخر. فإن ذرأ معناه: خلق متكثر منتشر؛ قال تعالى:

﴿ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ... ﴾[1].

وأنشأ معناه خلقٌ حادث جديد؛ قال تعالى:

﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾[2].

وجَبَل معناه: خلق غليظ؛ قال الجوهري: يقال للرجل إذا كان غليظاً: إنه لذو جبلة، وامرأة

(١) الشورى، ١١.
(٢) النجم، الآية: ٣٢.

مجبال، أي: غليظة الخلق، وشيء جَبِل بكسر الباء، أي: غليظ جاف.

ويقال: أجبل الشاعر، إذا صعب عليه القول، فكأنه بلغ المكان الغليظ، وأجبل الحافر إذا بلغ المكان الصلب.

وقال الزمخشري: ناقة جبلة السنام تامته، رجل جبل الوجه، وجبل الرأس: غليظهما وسيف جبل ومجبال: لم يرقّق، قال الشاعر:

أيِّ الحديدةِ لا نابٌ ولا جبلٌ

وسألناهم فاجبلوا إذا لم ينولوا

قال الكميت:

فبان وأبقى لنا من بنيه

لهاميم سادوا ولم يجبلوا[1]

ثانياً - أَجْمَدَهَا حَتّى اسْتَمْسَكَتْ، وأَصْلَدَهَا حَتّى صَلْصَلَتْ

---

(١) نهج الصباغة في شرح نهج البلاغة للعلامة التستري: ج١، ص٤٧٧.

بعد أن صار الماء والتراب طيناً جمداً وتماسكت أجزاؤه، وأصبح جسماً واحداً، يابساً متيناً، إذ هبت عليه الريح سمع له صلصلة، وأسند جمود الطين وصلصلته إلى الله، لأنه هو الذي خلق التراب والماء، ومزجهما حتى صارا طينا، وبهذه الأطوار الأربعة تمّ الجسم وكمل، ومع هذا أبقاه الله سبحانه بلا روح إلى أمد معين، لأن حكمته تعالى قضت أن يكون لكل أجل كتاب[1].

وجاء في كتاب منهاج البراعة: أي جعلها جامدة بعدما كانت طينة لينة حتى صار لها استمساك وقوام وجعلها صلبة متينة حتى صارت صلصالا يابسا يسمع له عند النقر صوت كصلصلة الحديد[2].

وقال أبو عبده (الصلصال) الطين الحر خلط

---

(١) في ظلال نهج البلاغة لمحمد جواد مغنية: ج١، ص٣٣.
(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج٢، ص٢٥٧.

بالرمل فصار يتصلصل إذا جف، فإذا أصبح في النار فهو الفخار[1].

وقال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ ﴾[2].

الإنسان آدم الصلصال الطين اليابس تسمع له عند النقر صلصلة أي صوت وقيل طين صلب يخالطه الكثب وقيل منتن من حمأ أي من طين متغير (مسنون) أي مصبوب كأنه أفرغ حتى صار صورة كما يصب الذهب والفضة وقيل أنه الرطب وقيل عن سيبويه قال أخذ منه سنة الوجه[3].

ثالثاً - لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ وأَمَدٍ مَعْلُومٍ

قال تعالى:

---

(١) صحاح اللغة للجوهري: ج٥، ص١٧٤٥، مادة (صلصل).

(٢) الحجر، الآية ٢٢٦.

(٣) مجمع البيان للطبرسي: ج٦، ص١١٤.

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾[1].

جاء في منهاج البراعة ما نقل من (مجمع البيان) وقد كان شيئاً إلا أنه لم يكن شيئاً مذكوراً لأنه كان تراباً وطيناً إلى أن نفخ فيه الروح وقيل أنه أتى على آدم أربعون سنة لم يكن شيئاً مذكوراً لا في السماء ولا في الأرض لأنه كان جسداً ملقىً من طين قبل أن ينفخ فيه الروح.

وروي عن عطاء عن ابن عباس: أنه تم خلقه بعد عشرين ومائة سنة وعن بعض الصحف السماوية أن طينة آدم عليه السلام عجنت أربعين سنة ثم جعلت لازباً، ثم جعلت حمأً مسنوناً أربعين سنة ثم جعلت صلصالاً كالفخار أربعين سنة ثم جعلت جسدا ملقىً على طريق الملائكة أربعين

(١) سورة الإنسان، الآية: ١.

سنة ونفخ فيها من روحه بعد تلك المدة[1].

قال الشيرازي رحمه الله: (الوقت المعلوم) هـو الوقت الـذي يـنفخ فيـه الـروح، (وأمـد معلـوم) الأمد المدة من الزمان باعتبار الامتداد[2].

وقال الشيخ الصدوق: (ويوم الوقت المعلـوم يوم ينفخ في الصور نفخة واحدة فيموت إبليس ما بين النفخة الأولى والثانية)[3].

---

(١) منهاج البراعة لحبيب الله الخوئي: ج٢، ص٢٥٧.
(٢) شرح نهج البلاغة للسيد محمد الشيرازي: ص٢١.
(٣) علـل الـشرائع للـشيخ الـصدوق: ج٢، بـاب ١٤٢، ص٤٠٢، ح٢.

المبحث الثالث

بث الروح في الطينة
واختلاف الألوان والأضداد

ثُـمَّ نَفَـخَ فِيهَـا مِـنْ رُوحِـه، فَمَثُلَـتْ إِنْـسَاناً ذَا أَذْهَــانٍ يُجِيلُهَــا، وفِكَــرٍ يَتَــصَرَّفُ بِهَــا وجَــوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا، وأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَـا ومَعْرِفَـةٍ يَفْـرُقُ بِهَـا بَـيْنَ الْحَــقِّ والْبَاطِــلِ، والأَذْوَاقِ والْمَــشَامِّ والأَلْــوَانِ والأَجْنَـاسِ، مَعْجُونـاً بِطِينَـةِ الأَلْـوَانِ الْمُخْتَلِفَـةِ، والأَشْبَاه الْمُؤْتَلِفَةِ والأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ، والأَخْلَـاطِ الْمُتَبَايِنَةِ مِنَ الْحَرِّ والْبَرْدِ، والْبَلَّةِ والْجُمُودِ[1].

المسألة الأولى: نفخ الروح في آدم عليه السلام

نسب تعالى الروح إلى نفسه دلالة على شرف الإنسان، قال تعالى:

(١) شرح نهج البلاغة الخطبة الاولى، ص٢٦.

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾[1].

وقال الشيخ محمد مغنية: واختلفوا في معنى الروح وبصرف النظر عن التي نفخها سبحانه في آدم أو مريم، فمنهم من قال: إن الله سبحانه حجب علمها عن العباد فلا ينبغي الحديث عنها بحال لقوله تعالى:

﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾[2].

وقال آخر: هي على هيئة الإنسان، لها رأس ويدان وبطن ورجلان، ولكنها ليست إنساناً! وقال ثالث: هي نور لطيف وهواء خفيف. ونقل عن فلاسفة اليونان أنهم يفرّقون بين العقل والروح والنفس، فالعقل أرفع وأشرف من الروح، وهي أشرف من النفس.

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٢٩؛ سورة ص، الآية: ٧٢.
(٢) سورة الاسراء، الآية: ٨٥.

وللروح في لغة القران معانٍ منها :

أولا : الرحمة :

﴿لا تيأسوا من روح الله﴾[1].

ثانيا : جبرائيل :

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾[2].

ثالثا : القرآن :

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾[3].

والقاسم المشترك لمعنى الروح هو كل ما يحيا به الشيء مادياً ومعنوياً.

أما المراد بالروح التي نفخها سبحانه في آدم فهي الحياة.. حتى لو كان للروح ألف معنى ومعنى، لان الحديث في كلام الإمام عليه السلام وفي قوله تعالى :

(١) سورة يوسف، الآية، ٨٧.
(٢) سورة الشعراء، الآية : ١٩٣.
(٣) سورة الشورى، الآية ٥٢.

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾[1].

مساق عن جسد آدم الذي بقي جامداً بلا روح لوقت معدود، وأمد معلوم.. ومثلها تماماً الروح التي نفخها في مريم، كما في قوله تعالى:

﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ﴾[2].

أي انه تعالى خلق جنيناً في رحم مريم بلا تلقيح[3].

وقال السيد حبيب الله الخوئي: (بقي الكلام في إفاضة الروح إليه سبحانه فنقول أن الإفاضة من باب التشريف والإكرام، روي في (الكافي) بإسناده عن محمد بن مسلم، قال: سألت أبا عبد الله عن قوله تعالى:

﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾[4]، كَيْفَ هَذَا

(١) سورة الحجر، الآية: ٢٩.
(٢) سورة الانبياء: ٩١.
(٣) في ظلال نهج البلاغة محمد جواد مغنية: ص٣٤.
(٤) سورة الحجر، الآية: ٢٩.

النَّفْخُ فَقَالَ إِنَّ الرُّوحَ مُتَحَرِّكٌ كَالرِّيحِ وإِنَّمَا سُمِّيَ رُوحاً لأَنَّه اشْتَقَّ اسْمَه مِنَ الرِّيحِ وإِنَّمَا أَخْرَجَه عَنْ لَفْظَةِ الرِّيحِ لأَنَّ الأَرْوَاحَ مُجَانِسَةٌ لِلرِّيحِ وإِنَّمَا أَضَافَه إِلَى نَفْسِه لأَنَّه اصْطَفَاه عَلَى سَائِرِ الأَرْوَاحِ كَمَا قَالَ لِبَيْتٍ مِنَ الْبُيُوتِ بَيْتِي ولِرَسُولٍ مِنَ الرُّسُلِ خَلِيلِي وأَشْبَاه ذَلِكَ وكُلُّ ذَلِكَ، مَخْلُوقٌ مَصْنُوعٌ مُحْدَثٌ مَرْبُوبٌ مُدَبَّرٌ»[1][2].

فعن محمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عن قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ قال عليه السلام:

«روح اختاره الله واصطفاه وخلقه وأضافة إلى نفسه وفضّله على جميع الأرواح فأمر فنفخ منه في آدم»[3].

---

(١) الكافي للكليني، باب الروح، ج ١، ص١٣٤.
(٢) منهاج البراعة لحبيب الله الخوئي: ج٢، ص٢٥٩.
(٣) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٤، ص٢٦٠، ح١.

وروي عن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال:

«إن اللّٰه سبحانه وتعالى أحد صمد ليس له جوف، وإنما الروح خلق من خلقه، نصر وتأييد وقوة يجعله اللّٰه في قلوب الرسل والمؤمنين»[1].

وجاء عن اليقطيني قال: سألت أبا الحسن علي بن محمد العسكري عن قوله عز وجل:

﴿ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾[2].

فقال عليه السلام:

«ذلك تعبير اللّٰه تبارك وتعالى لمن شبهه بخلقه ألا ترى إنه تعالى قال:

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾[3].

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٤، ص٢٦٢، ح١٠.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٧.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩١.

إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ثم نزّه عز وجل نفسه عن القبضة واليمين وقال سبحانه وتعالى: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1]»[2].

عن ابن أذينة عن الأحوال قال: سألت أبا عبد الله عن الروح التي في ادم عليه السلام في قوله تعالى:

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾.

قال:

«هذه روح مخلوقة والروح التي في عيسى مخلوقة»[3].

المسألة الثانية: الأذهان والفكر والجوارح

قال الإمام علي عليه السلام:

«فَمَثُلَتَ إِنْسَاناً ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا، وفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٩٠.
(٢) بحار الأنوار للمجلسي: ج٤، ص٢٥٣، ح٢.
(٣) مرآة العقول في شرح اخبار الرسول للعلامة المجلسي: ج١، باب الروح، ص٤٨٩.

بِهَا وجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا، وأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا ومَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ والْبَاطِلِ، والأَذْوَاقِ والْمَشَامِّ والأَلْوَانِ والأَجْنَاسِ».

اشتمل هذا الكلام على مفردات وهي: (أذهان، وفكر، وجوارح) وقيل في معناها:

(أذهان: جمع ذهن أي الفهم، - وفكر - بكسر الفاء وفتح الكاف - جمع فكر- بسكون الكاف - وهو النظر في الشيء. وجوارح: جمع جارحة: وهو العضو الذي يستعمله الإنسان في شؤونه والأذواق: جمع ذوق، ويكون باللسان والفرج، ويطلق أيضا على الطبع)[1].

إن الإنسان العاقل الذي خلقه الله على الفطرة لا يعمل عملاً إلا بعد فكر وإمعان في الأمر، فيبتعد عن الأشياء الخطرة لأن الله خلق له

---

(١) في ظلال نهج البلاغة لمحمد جواد مغنية: ص٣٠.

أدوات كالنظر والسمع وسـائر الأعـضاء الـتي مـن خلالهما يميز الأشياء التي تنفعه والتي تـضره، فهـذه الجوارح يجعلها في خدمته، ومـصدر هـذه الحـواس هو العقل وهـو الحـاكم عليهـا كمـا ورد في كتـاب مرآة العقول عن المجلسي بإسـناده عـن يـونس بـن يعقوب، قال: كان عند أبي عبد اللّه عليه الـسّلام جماعة من أصحابه منهم حمران بـن أعـين و محمّـد ابن النّعمان وهشام بن سالم والطيار وجماعة فـيهم هشام بن الحكم وهو شـاب، فقـال أبـو عبـد اللّـه عليه السّلام:

«يا هشام ألا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد وكيف سـألته؟»

فقال هشام: يـا بـن رسـول اللّـه إنّـي أجلّـك وأستحييك ولا يعمل لساني بين يديك، فقـال أبـو عبد اللّه عليه السّلام:

«إذا أمرتكم بشيء فافعلوا».

قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة فعظم ذلك عليّ فخرجت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة فأتيت مسجد البصرة فإذا أنا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبيد وعليه شملّة سوداء متّزر بها من صوف وشملّة مرتد بها والنّاس يسألونه فاستفرجت النّاس فأفرجوا لي ثم قعدت في آخر القوم على ركبتي، ثم قلت: أيّها العالِم، إنّي رجل غريب أتأذن لي في مسألة؟ فقال لي: نعم، فقلت له: ألك عين؟ فقال لي: يا بنيّ أيّ شيء تريد من هذا السؤال وشيء تراه كيف تسأل عنه؟ فقلت: هكذا مسألتي فقال: يا بنيّ سل وإن كانت مسألتك حمقاء، قلت: أجبني فيها، قال لي: سل، قلت: ألك عين؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟

قال: أرى بها الألوان والأشخاص، قلت: فَلَكَ أنف؟، قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أشم به الرائحة، قلت: ألك فم؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أذوق به الطعم، قلت: فلك أذن؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أسمع بها الصوت، قلت: ألك قلب؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أميّز به كلما ورد على هذه الجوارح و الحواس، قلت: أو ليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟ فقال: لا، قلت: وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة؟ قال: يا بنيّ إنّ الجوارح إذا شكت في شيء شمّته أو رأته أو ذاقته أو سمعته ردته إلى القلب فيستبين اليقين ويبطل الشّك.

قال هشام: فقلت له: فإنما أقام اللّه القلب لشكّ الجوارح؟ قال: نعم، قلت: لا بدّ من

القلب وإلاّ لم يستيقن الجوارح؟ قال: نعم، فقلت له: يا أبا مروان فإنّ اللّه تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتّى جعل لها إماما يصحّ لها الصحيح ويتيقن به ما شككت فيه ويترك هذا الخلق كلّهم في حيرتهم وشكّهم واختلافهم لا يقيم لهم إماما يردّون إليه شكّهم وحيرتهم ويقيم لك إماما لجوارحك تردّ إليه حيرتك وشكّك؟

قال: فسكت ولم يقل لي شيئا، ثمّ التفت إليّ فقال لي: أنت هشام بن الحكم؟ فقلت: لا، فقال: أمن جلسائه؟ قلت: لا، قال: فمن أين أنت؟ قلت: من أهل الكوفة، قال: فأنت إذا هو، ثمّ ضمّني إليه وأقعدني في مجلسه وزال عن مجلسه وما نطق حتى قمت، قال: فضحك أبو عبد اللّه عليه السّلام فقال:

«يا هشام من علّمك هذا؟»

قلت: شيء أخذته منك وألفته، فقال عليه السلام:

«هذا واللّه مكتوب في صحف إبراهيم و موسى»[1].

روي في (العيون) عن ابن السكيت أنه قال للرضا عليه السلام بعد سؤاله عن وجه اختلاف معجزات موسى وعيسى ونبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فما الحجة على الخلق اليوم؟ فقال عليه السلام:

«العقل يعرف به الصادق على الله فيصدقه والكاذب على الله فيكذبه».

فقال ابن السكيت: هذا والله الجواب[2].

أعطى الله للإنسان نعماً كثيرة منها الذوق

---

(١) مرآة العقول: ج٢، ص١٧٢.

(٢) عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق المتوفى (سنة ٣٨١هـ): ج٢، ص٨٦، ح١٢.

فيعرف به الطعم الحلو من المر وأعطاه الشم ليميز به الريح الطيب عن الخبيث وأعطاه النظر ليميز به طريقه ويبتعد عن المضار ويميز بين الألوان، فالله خلق الإنسان بأكمل وجه وأتم خلق والإنسان هو أعظم مخلوقات الله والدليل على ذلك هو نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأئمتنا الأطهار عليهم السلام، قال تعالى:

﴿ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾[1].

أما (الأجناس) قال السيد الشيرازي: (والمراد من الأجناس كالعربي، والتركي، والفارسي، وقال البعض أنه مطلق الأمور الكلية لا الجنس المصطلح في علم المنطق والكلام)[2].

---

(١) إبراهيم، ١١.

(٢) شرح نهج البلاغة لمحمد الشيرازي: ص٢٢.

المسألة الثالثة: الاختلاف في الألوان والأضداد والأخلاط في خلق الإنسان وخُلقه

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

مَعْجُوناً بِطِينَةِ الأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ، والأَشْبَاه الْمُؤْتَلِفَةِ والأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ، والأَخْلاَطِ الْمُتَبَايِنَةِ مِنَ الْحَرِّ والْبَرْدِ، والْبَلَّةِ والْجُمُودِ

والمراد بالألوان الأولى الأعراض كالسواد والصفار، وبالثانية الأحوال كالحر والبرد، والمساءة والمسرة، والأخلاط الأصناف المختلطة[1].

(بطينة الالوان المختلفة) روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله بعد أن سأله عبد الله بن سلام أن آدم خلق من الطين كله أو من طينة واحدة؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«من الطين كله، ولو خلق من طين واحد لما عرف

(١) في ظلال نهج البلاغة لمحمد جواد مغنية: ص٣٠.

الناس بعضهم بعضا وكانوا على صورة واحدة».

قال: فلهم في الدنيا مثل؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«التراب فيه أبيض وفيه أخضر وفيه أشقر وفيه أغبر وفيه أحمر وفيه أزرق وفيه عذب وفيه مالح وفيه خشن وفيه لين وفيه أصهب فلذلك صار الناس فيهم لين وفيهم خشن وفيهم أبيض وفيهم أصفر وأحمر وأصهب وأسود على ألوان التراب»[1].

قال الشيخ محمد مغنية: (يشير الإمام بهذا أن في طبيعة الإنسان ومزاجه قوى عناصر منها ما ينسجم بعضها مع بعض كانسجام العلم مع الحلم، والصدق مع الوفاء، وكانسجام الجبن مع البخل، والكذب مع الرياء، ومنها ما يختلف بعضها مع الآخر كاختلاف الرضا والغضب، والضحك والبكاء، والحفظ والنسيان، وغير ذلك

(١) علل الشرائع للشيخ الصدوق: ج٢، ص٤٧١، ح٣٣.

وكلها لخير الإنسان ومصلحته وبقائه واستمراره ولو نقصت منه صفة واحدة لاختل توازن الإنسان ولم ينتفع بشي.

ونضرب لذلك مثلاً واحداً أنّه لولا النسيان لتراكمت الهموم على الإنسان ولم يستمتع بشيء ولانتهت حياته في أمد قصير، ولولا الحفظ لأنسدّ باب العلم بشتى أنواعه بل ولم يهتدِ الإنسان إلى أمه وأبيه وصاحبته وبنيه، وإذا خرج من بيته استحال أن يعود إليه؛ وهكذا سائر الصفات المتباعدة منها والمتقاربة.. وكلها تجري على نظام مشترك، وقدر جامع، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على وحدة الخالق والمدبر الذي لا إله إلا هو، قال تعالى:

﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[1][2].

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ٣.

(٢) في ضلال نهج البلاغة لمحمد جواد مغنية: ج١، ص٣٥.

جاء في شرح بهج الصباغة للعلامة التستري..: (قال الناظم: الدليل على الصانع إنا رأينا أشياءً متضادة من شأنها التنافي والتباين والتفاسد مجموعة، وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة المجتمعة في كل حيوان، وفي أكثر سائر الأجسام، فعلمنا أن جامعها قسرها على الاجتماع ولولا ذلك لتباينت وتفاسدت، ولو جاز أن تجتمع المتضادات المتناثرات، وتتقاوم من غير جامع جمعها، لجاز أن يجتمع الماء والنار ويتقاوما من ذاتهما، بغير جامع مدبر مقيم يقيمهما، وهذا محال.

هذا، وقال المبرد: دخلت على الجاحظ في آخر أيامه وهو عليل فقلت له: كيف أنت؟ فقال: كيف يكون من نصفه مفلوج ولو نشر بالمناشير لما أحس به، ونصف الآخر منقرس لو

طار الذباب بقربه لآلمه.

وقال الجاحظ لمتطبب يشكو إليه علته: قد اصطلحت الأضداد على جسدي إن أكلت بارداً أخذ برجلي، وإن أكلت حاراً أخذ برأسي)[1].

المسألة الرابعة: لماذا جعل الله الأرواح في الأبدان

حدثنا عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لأي علة جعل الله عز وجل الأرواح في الأبدان بعد كونها في ملكوته الأعلى في أرفع محمل؟ فقال عليه السلام:

«إن اللّه تبارك وتعالى علم أن الأرواح في شرفها وعلوها متى ما تركت على حالها نزع أكثرها إلى دعوى الربوبية دونه عز وجل، فجعلها بقدرته في الأبدان التي قدّر لها في ابتداء التقدير نظرا لها ورحمة بها وأحوج بعضها إلى بعض وعلق بعضها على

(١) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة للعلامة التستري: ج١، ص٤٨٠.

بعض ورفع بعضها على بعض في الدنيا ورفع بعضها فوق بعض درجات في الآخرة وكفى بعضها ببعض وبعث إليهم رسله واتخذ عليهم حججه مبشرين ومنذرين يأمرون بتعاطي العبودية والتواضع لمعبودهم بالأنواع التي تعبدهم بها، ونصب لهم عقوبات في العاجل وعقوبات في الآجل ومثوبات في العاجل ومثوبات في الآجل ليرغّبهم بذلك في الخير ويزيدهم في الشر وليد بهم بطلب المعاش والمكاسب فيعملوا بذلك إنهم بها مربوبون وعباد مخلوقون ويقبلوا على عبادته فيستحقوا بذلك نعيم الأبد وجنة الخلد ويأمنوا من الفزع إلى ما ليس لهم بحق».

ثم قال عليه السلام:

«يا بن الفضل، إن اللّٰه تبارك وتعالى أحسن نظرا لعباده منهم لأنفسهم، ألا ترى انك لا ترى فيهم إلا محبا للعلو على غيره حتى يكون منهم لمن قد نزع إلى دعوى الربوبية، ومنهم من قد نزع إلى دعوى النبوة

بغير حقها، ومنهم من قد نزع إلى دعوى الإمامة بغير حقها وذلك مع ما يرون في أنفسهم من النقص والعجز والضعف والمهانة والحاجة والفقر والآلام المناوبة عليهم والموت الغالب لهم والقاهر لجمعهم، يا بن الفضل: إن اللّه تبارك وتعالى لا يفعل بعباده إلا الأصلح لهم ولا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون»[1].

أولاً: علة خلق آدم من غير أب وأم

ما هي العلة التي من أجلها خلق الله آدم عليه السلام من غير أب وأم - وخلق عيسى بن مريم عليهما السلام من غير أب وخلق سائر الخلق من أم وأب؟

سُئل الامام الصادق عليه السلام عن العلة في خلق آدم من غير أب وأم، فأجاب كما في

(١) علل الشرائع للشيخ للصدوق: ج١، الباب ١٣: العلة التي من أجلها جعل الله الأرواح في الأبدان، ص٢٢، ح١.

الرواية: عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لأي علة خلق الله عز وجل آدم من غير أب وأم وخلق عيسى من غير أب وخلق سائر الناس من الآباء والأمهات؟ فقال عليه السلام:

«ليعلم الناس تمام قدرته وكمالها، ويعلموا أنه قادر على أن يخلق خلقا " من أنثى من غير ذكر، كما هو قادر على أن يخلقه من غير ذكر ولا أنثى، وأنه عز وجل فعل ذلك لِيُعلَم أنه على كل شيء قدير»[1].

قال تعالى:

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[2].

ثانياً - الحنين إلى طينة الأصل

عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

---

(١) علل الشرائع للشيخ للصدوق: ج١، الباب ١٢: العلة التي من أجلها خلق الله تعالى آدم من غير أب وأم، ص١٥، ح١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٥٩.

«إن اللّه عجن طينتنا وطينة شيعتنا فخلطنا بهم وخلطهم بنا فمن كان في خلقه شيء من طينتنا حنَّ إلينا فأنتم واللّه منا»[1].

وعنه عليه السلام قال:

«إن اللّه عز وجل خلقنا من عليين وخلق محبينا من دون ما خلقنا منه وخلق عدونا من سجين وخلق محبيهم مما خلقهم منه فلذلك يهوي كل إلى كل»[2].

فمن هاتين الروايتين وغيرهما نستدل أن كل إنسان يختار مصيره في الانتماء لمن يحب فإن الله قد خيّر البشر فخيّرهم بين الخير والشر والحق والباطل وكذلك خيرهم بين الجنة والنار وجعل السبيل إليهما من خلال أعمالهم، وحتى الطينة التي خلق منها فمنهم من هوى طينة الصالحين ومنهم من

(١) بصائر الدرجات للصفّار: ج١، باب خلق الأئمة عليهم السلام، ص٤٧، ح٨.
(٢) بصائر الدرجات للصفار: ج١، باب خلق الأئمة عليهم السلام، ص٤٧، ح٩.

هوى طينة الفاسقين فكل إنسان يحب قرينه.

قال تعالى:

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[1].

وروي عن فضيل بن الزبير عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«يا فضيل أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إنّا أهل بيت خلقنا من عليين وخلق قلوبنا من الذي خلقنا منه وخلق شيعتنا من أسفل من ذلك وخلق قلوب شيعتنا منه؛ وأن عدونا خلقوا من سجين وخلق قلوبهم من الذي خلقوا منه وخلق شيعتهم من أسفل من ذلك وخلق قلوب شيعتهم مما خلقوا منه فهل يستطيع أحد من أهل عليين أن يكون من أهل سجين وهل يستطيع أهل سجين أن يكونوا من أهل علين»[2].

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٣٨.

(٢) بصائر الدرجات لمحمد بن حسن الصفّار: ج١، باب خلق الأئمة عليهم السلام، ص٤٨، ح١٦.

المصادر

١ . القرآن الكريم.

٢ . نهج البلاغة تحقيق محمد عبده / طبعة جديدة / منقحة مصححة مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع.

٣ . مستدرك الوسائل، المؤلف ميرزا حسين النوري الطبرسي ج١٢ / تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث / سنة الطبع ١٤٠٨ — ١٩٨٨م / مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث — بيروت — لبنان.

٤ . روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه

/ المؤلف محمد تقي المجلسي، ج٤ المتوفى ١٠٧٠ / تحقيق نمقه وعلق عليه واشرف على طبعه السيد حسين الموسوي الكرماني والشيخ علي بناه الاشتهاردي.

٥ . كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق المتوفى ٣٨١ / صححه وقدمه العلامة الشيخ حسين الاعلمي / منشورات مؤسسة الاعلمي بيروت – لبنان.

٦ . بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة لعلامة الشيخ محمد تقي التستري / مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان.

٧ . في ظلال نهج البلاغة / شرح الشيخ محمد جواد مغنية / منشورات الرضا.

٨ . تبيان الفصاحة في شرح نهج البلاغة للسيد عباس علي الموسوي / مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع.

٩ . منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة العلامة

المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي ١٢٦١ هـ - ١٣٢٤ هـ دار المحجة البيضاء.

١٠ . مرآة العقول في شرح اخبار الرسول شرح كتاب الكافي للكليني تأليف العلامة الحجة فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره، ١١١١ هـ، تحقيق الشيخ مصطفى صبحي الخضر / تصحيح علاء الأعلمي / شركة الأعلمي للمطبوعات.

١١ . تفسير مجمع البيان / الشيخ البرسي الوفاة ٥٤٨ / تحقيق وتعلقي لجنة من العلماء والمحققين ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م – الناشر مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان.

١٢ . علل الشرائع للشيخ الصدوق المتوفى ٣٨١ هـ مؤسسة الاعلمي / الجزء الأول والثاني.

١٣ . الصحاح المؤلف الجوهري الجزء الخامس الوفاة ٣٩٣ / المجموعة علوم اللغة العربية / الطبعة الرابعة / سنة الطبع ١٤٠٧ – ١٩٨٧م / نشر دار العلم

– بيروت – لبنان.

١٤ . الكافي / الشيخ الكليني الوفاة ٣٢٩ هـ / تحقيق وتصحيح علي أكبر الغفاري / الطبعة الخامسة / سنة الطبع ١٣٦٣ / المطبعة الحيدري / نشر دار الكتاب الاسلامية – طهران.

١٥ . بحار الانوار الجامعة لاخبار الائمة الاطهار / تأليف العلامة الحجة فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي طبعه منقحه بتعاليق العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي / منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان.

١٦ . بصائر الدرجات للثقة الجليل المحدث النبيل شيخ القميين / ابو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار المتوفى سنة ٢٩٠ هـ من اصحاب الامام الحسن العسكري عليه السلام / منشورات شركة الاعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان.

١٧. عيون اخبار الرضا عليه السلام للشيخ

الصدوق المتوفى ٣٨١هـ / صححه وقدم له وعلق عليه العلامة الشيخ حسين الأعلمي / منشورات الأعلمي، بيروت – لبنان.

المحتويات

المبحث الثاني

بيان صفة خلق آدم عليه السلام

المبحث الثالث

بث الروح في الطينة واختلاف الألوان والأضداد